# أثر علم المناسبات

# في تدبر القرآن

كتبه

د. عبد المحسن بن زبن المطيري

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة الكويت

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، الهادي البشير والسراج المنير، وعلى آله وصحبه خير آل وأعظم جيل، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن نعمة القرآن على أمة محمد سابغة، ومنّته سبحانه في اختصاصه بلغة العرب منّة بالغة، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، وقد أوجب الله ﷻ على أمة محمد ﷺ تدبر القرآن العظيم فقال ﷻ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] فجعل مقصد الإنزال هو التدبر، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] فعاتب اللهُ تعالى من لم يتدبر، ولا يكون العتاب والتوبيخ على ترك مستحب، ثم أعاد هذا العتاب مرةً أخرى في سورة محمد فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وحكم على من لم يتدبر بأنه مقفل القلب.

وقد ألّفتُ رسالة في مبادئ تدبر القرآن الكريم، ووجدت أن أهم الأبواب في تدبر القرآن هي:

١- علم المناسبات.

٢- دلالات الألفاظ الوضعية.

٣- علم مقاصد السور.

٤- أثر علوم اللغة في التدبر.

وقد كتبت بحثًا في علم المناسبات تأصيلًا ومبادئَ، ذكرتُ فيه المبادئ العشرة لعلم المناسبات، وأدلة مشروعية العلم من الكتاب والسنة والإجماع وأقوال الصحابة، وغير ذلك من الأدلة.

وقد تبين لي في ذلك البحث أن المناسبات تنقسم ثلاثة أقسام رئيسة لها فروع ترجع إليها، وهي:

١- **المناسبات في السور**، وأنواعها:

أ- المناسبة بين مقصد السورتين المتجاورتين.

ب- المناسبة بين مطلع السورة وخاتمتها.

ت- المناسبة بين مطلع السورة وخاتمة التي قبلها.

ث- المناسبة بين مطلع السورة ومطلع السورة التي تليها.

ج- المناسبة بين سورتين أَمَرَ الشارع بالجمع بينهما.

٢- **المناسبات في الآيات**، وأنواعها:

أ- المناسبة بين الآية والتي تليها.

ب- المناسبة بين الآية وخاتمتها.

ت- المناسبة بين الجُمَل المعطوفات.

ث- المناسبة في ترتيب المفردات المعطوفة.

ج- المناسبة بين القَسَم والمُقسم به.

٣- **المناسبات في المتشابهات**، وأنواعها:

أ- المناسبة بين المتشابهات لفظًا.

ب- المناسبة بين المتشابهات معنىً.

ت- المناسبة بين المتشابهات وصفًا.

ث- المناسبة بين القراءات.

فأردت إكمال البحث التأصيلي بهذا البحث التطبيقي، لضرب الأمثلة لكل نوع من هذه الأنواع، وقد قدّمت بتمهيدٍ مختصر للتعريف بالمناسبات لمن لم يطّلع على البحث الآخر، فجاءت خطة البحث على النحو التالي:

المقدمة

التمهيد

**المبحث الأول: المناسبات في السور**، وأنواعها:

أ- المناسبة بين مقصد السورتين المتجاورتين.

ب- المناسبة بين مطلع السورة وخاتمتها.

ت- المناسبة بين مطلع السورة وخاتمة التي قبلها.

ث- المناسبة بين مطلع السورة ومطلع السورة التي تليها.

ج- المناسبة بين سورتين أَمَرَ الشارع بالجمع بينهما.

**المبحث الثاني: المناسبات في الآيات**، وأنواعها:

ح- المناسبة بين الآية والتي تليها.

خ- المناسبة بين الآية وخاتمتها.

د- المناسبة بين الجمل المعطوفات.

ذ- المناسبة في ترتيب المفردات المعطوفة.

ر- المناسبة بين القَسَم والمُقسم به.

**المبحث الثالث: المناسبات في المتشابهات**، وأنواعها:

ج- المناسبة بين المتشابهات لفظًا.

ح- المناسبة بين المتشابهات معنى.

خ- المناسبة بين المتشابهات وصفًا.

د- المناسبة بين القراءات.

الخاتمة.

ثم قائمة المراجع، وفهرس المحتويات.

وأسأل الله ﷻ التوفيق والسداد، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

## التمهيد

المناسبات **لغة:** جمع مناسبة، وهو مصدر ناسَب يناسب مناسبة، والمناسبة في اللغة: المشابهة والمشاكلة والمقاربة [١]، ومنه النَّسيب: القريب المتصل؛ كالأخوين وابن العم ونحوه، ممن بينهم مناسبة؛ أي رابطة تربط بينهم وهي القرابة.

وفي **علم البلاغة:** التناسب الترتيب للمعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر[٢].

وفي الاصطلاح العام: المناسبة هي علة الترتيب [٣].

وفي اصطلاح **المفسرين:** عرفها ابن العربي في كتابه (سراج المريدين): بأنها: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني"[٤].

وقال البقاعي: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن"[٥].

وقيل: "هو الارتباط بين الآيات القرآنية أو بين السور، لوجود أمر يقارب بينها"[٦].

وقيل: "هو المعنى الذي يربط بين سور القرآن وآياته"[٧].

"فعلم المناسبة: علم يُعنى بإبراز أوجه الصلة، وتناسب الآيات والسور، أو هو: معرفة مجموع الأصول الكلية، والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض"[٨].

---

[١]- انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٤٢٣)، والصحاح (٢/٢٤٥).

[٢]- انظر: معجم المفصل في علوم البلاغة جمع وترتيب د. إنعام عكاوي، ضمن سلسلة الخزانة اللغوية، (٦/٤٣٠)، ط دار الكتب العلمية.

[٣]- علم المناسبات. لبازمول (ص: ٢٧).

[٤]- سراج المريدين. للقاضي أبي بكر ابن العربي نقلا عن الإتقان (٣/ ٣٦٩).

[٥]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (١/٥)، مكتبة ابن تيمية – الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م.

[٦]- علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه، لنور الدين عتر، (ص:٦)، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط١، ١٤٣٢هـ.

[٧]- انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/٣٢٣).

[٨]- علم المناسبات، بازمول (ص:٢٧).

أو "علمٌ يبْحَث فِي الْمَعَانِي الرابطة بَين الْآيَات بَعْضهَا بِبَعْض، وَبَين السُّور بَعْضهَا بِبَعْض، حَتَّى تُعرف عللُ تَرْتِيب أَجزَاء الْقُرْآن الْكَرِيم"[٩]، والتعاريف متقاربة المعنى كما هو ظاهر.

وبعضهم يسمي علم المناسبات: دلالة الاقتران، أو المتجاورات، أو التلازم، أو الترتيبات، أو الروابط.

**المبحث الأول: المناسبات في السور:**

المطلب الأول: المناسبة بين مقصد السورتين المتجاورتين.

المطلب الثاني: المناسبة بين مطلع السورة وخاتمة التي قبلها.

المطلب الثالث: المناسبة بين مطلع السورة وخاتمتها.

المطلب الرابع: المناسبة بين مطلع السورة ومطلع السورة التي تليها.

المطلب الخامس: المناسبة بين سورتين أَمَرَ الشارع بالجمع بينهما.

---

٩- مصابيح الدرر في تناسب الآيات والسور، عادل أبو العلاء (ص: ١٨)، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١٢٩، عام ١٤٢٥هـ.

## المطلب الأول: المناسبة بين مقصد السورتين المتجاورتين:

وهذا القسم هو الأصل في هذا الباب، وما بعده تَبَع له وفرعٌ منه، فإذا ثبت أن السورتين بينهما تناسبٌ في المعنى والمقصد، فسيكون هناك -غالبًا-مناسبة بين مطلع السورة وخاتمة التي قبلها، ومطلع السورتين، ومطلع السورة وخاتمتها، وقد اهتم المفسرون بذلك وعُنوا به، وبيّنوا أن كل سورة لها مقصد، وكل سورتين متتاليتين مرتبطتان، بل قال السيوطي رحمه الله: "إن كل سورة شارحة لما أُجمل في السورة التي قبلها"[١٠].

وإليك بعض الأمثلة:

١- الماعون، والكوثر: "مِنْ لَطَائِفِ سُورَةِ الْكَوْثَرِ: أَنَّهَا كَالْمُقَابِلَةِ لِلَّتِي قَبْلَهَا[١١]، لِأَنَّ السَّابِقَةَ قَدْ وَصَفَ اللَّهُ فِيهَا الْمُنَافِقَ بِأُمُورٍ أَرْبَعَةٍ: الْبُخْلِ، وَتَرْكِ الصَّلَاةِ، وَالرِّيَاءِ فِيهَا، وَمَنْعِ الزَّكَاةِ، فَذَكَرَ هُنَا فِي مُقَابَلَةِ البخل: ﴿إنا أعطيناك الْكَوْثَرَ﴾ أَيِ الْكَثِيرَ، وَفِي مُقَابَلَةِ تَرْكِ الصَّلَاةِ: ﴿فَصَلِّ﴾ أَيْ دُمْ عَلَيْهَا، وَفِي مُقَابَلَةِ الرِّيَاءِ: ﴿لِرَبِّكَ﴾ أَيْ لِرِضَاهُ لَا لِلنَّاسِ، وَفِي مُقَابَلَةِ مَنْعِ الْمَاعُونِ: ﴿وَانْحَرْ﴾ وَأَرَادَ بِهِ التَّصَدُّقَ بِلَحْمِ الْأَضَاحِيِّ، فَاعْتَبِرْ هَذِهِ الْمُنَاسَبَةَ الْعَجِيبَةَ"[١٢].

٢- النساء، والمائدة: قَالَ الصاوي فِي حَاشِيَته على تَفْسِير الجلالين، في بيان العلاقة بين سورة النساء والمائدة: "وَجه الْمُنَاسبَة بَينهَا وَبَين مَا قبلهَا: أَنه حَيْثُ وعدنا الله بِالْبَيَانِ كراهةَ وقوعنا فِي الضلال -آخر آيَة من النِّسَاء- تمَّم ذَلِك الْوَعْد بِذكر هَذِه السُّورَة، فَإِن فِيهَا أحكاماً لم تكن فِي غَيرهَا، قَالَ الْبَغَوِيّ: عَن ميسرَة قَالَ: إِن الله تَعَالَى أنزل فِي هَذِه السُّورَة ثَمَانِيَة عشر حكمًا لم تنزل فِي غَيرهَا من الْقُرْآن"[١٣].

٣- الضحى، والشرح:

---

[١٠]- تناسق الدرر للسيوطي: (ص: ٥٤).

[١١]- يعني سورة الماعون.

[١٢]- البرهان في علوم القرآن للزركشي: (١/٣٩).

[١٣]- نقله في مصابيح الدرر: (ص: ١٣٣).

قال السيوطي في سورة الشرح: "هي شديدة الاتصال بسورة الضحى، ولهذا ذهب بعضُ السلف إلى أنهما سورة واحدة بلا بسملة، وفي حديث الإسراء أن الله تعالى قال: (يا محمد ألم أجدك يتيمًا فآويت، وضالا فهديت، وعائلا فأغنيت، وشرحتُ لك صدرك، وحططتُ عنك وزرك، ورفعتُ لك ذِكرك، فلا أُذكر إلا ذُكرت)"[١٤].

وسورة الضحى ذِكر لنعم الله ﷻ الحسية على نبيه ﷺ، وأما سورة الشرح فذكر الله ﷻ فيها نِعمَه المعنوية على النبي ﷺ.

٤- العلق، والقدْر: سورة العلق أول سورة نزلت، فكأنه قيل: متى كان هذا؟ فجاء الجواب في السورة التي تليها: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾، قال الطاهر بن عاشور عن الضمير في قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه﴾ [القدر: ١] أنه "إيماء إلى أن الضمير في ﴿أنزلناه﴾ يعود إلى القرآن الذي ابتدئ نزوله بسورة العلق"[١٥]، وقَالَ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ الزُّبَيْرِ: حَكَى الْخَطَّابِيُّ أَنَّ الصَّحَابَةَ لَمَّا اجْتَمَعُوا عَلَى الْقُرْآنِ وَضَعُوا سُورَةَ الْقَدْرِ عَقِبَ الْعَلَقِ، اسْتَدَلُّوا بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ المراد بهاء الْكِنَايَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ الْإِشَارَةُ إِلَى قوله: ﴿اقرأ﴾، قال القاضي أبو بكر ابن الْعَرَبِيِّ: وَهَذَا بَدِيعٌ جِدًّا"[١٦].

٥- الفيل، وقريش: لما ذكر الله ﷻ حفظه لقريش، ذكر ما أسداه من نِعَم عليهم، قال السمين الحلبي: "قوله: ﴿لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ﴾ في متعلَّقِ هذه اللامِ أوجهٌ، أحدُها: أنه ما في السورةِ قبلَها مِنْ قولِه: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ﴾ [قريش: ٥]، قال الزمخشري: «وهذا بمنزلةِ التَّضْمينِ في الشِّعْرِ» وهو أَنْ يتعلَّقَ معنى البيتِ بالذي قبلَه تَعَلُّقاً لا يَصِحُ إلا به، وهما في مصحفِ أُبَيّ سورةٌ واحدةٌ بلا فَصْلٍ"[١٧].

---

١٤- تناسق الدرر في تناسب السور: (ص: ١٣٩).

١٥- التحرير والتنوير (٤٥٦/٣٠).

١٦- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٣/ ٣٨٣).

١٧- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي [ت:٧٥٦] (١١١/١١)، تحقيق أحمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٦- الزهراوان (البقرة، وآل عمران): لما ذكر الله ﷻ المغضوبَ عليهم والضالينَ في الفاتحة، فصّل حال المغضوب عليهم في البقرة، وحالَ الضالين في آل عمران.

٧- المعوذتان: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلامه عن سورة الناس: "فكانت هذه السورة للشر الصادر من العبد، وأما الشر الصادر من غيره فسورة الفلق؛ فإن فيها الاستعاذة من شر المخلوقات عمومًا وخصوصًا"[١٨].

وأوضح ذلك ابن القيم بما لا مزيد عليه فقال: "هذه السورة ـ أي سورة الناس ـ مشتملة على الاستعاذة من الشر الذي هو سبب الذنوب والمعاصي كلها، وهو الشر الداخل في الإنسان، الذي هو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة، (فسورة الفلق) تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو ظلم الغير له بالسحر والحسد، وهو شر من خارج، (وسورة الناس) تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه، وهو شر من داخل، فالشر الأول: لا يدخل تحت التكليف ولا يُطلب منه الكف عنه لأنه ليس من كسبه، والشر الثاني: في سورة الناس يدخل تحت التكليف ويتعلق به النهي، فهذا شر المعائب، والأول شر المصائب، والشر كلّه يرجع إلى العيوب والمصائب ولا ثالث لهما، فـ(سورة الفلق) تتضمن الاستعاذة من شر المصيبات، و(سورة الناس) تتضمن الاستعاذة من شر العيوب التي أصلها كلها الوسوسة"[١٩].

---

[١٨]- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٣٦/١٧).

[١٩]- بدائع الفوائد: (٢٥٠/٢).

**المطلب الثاني: المناسبة بين مطلع السورة وخاتمة التي قبلها:**

"إِذَا اعْتَبَرْتَ افْتِتَاحَ كُلِّ سُورِهِ وَجَدْتَهُ فِي غَايَةِ الْمُنَاسَبَةِ لِمَا خَتَمَ بِهِ السُّورَةَ قَبْلَهَا، ثُمَّ هُوَ يَخْفَى تَارَةً وَيَظْهَرُ أُخْرَى" وقد ذكر العلماء أمثلة كثيرة لذلك، منها:

١. "كَافْتِتَاحِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ بِالْحَمْدِ، فَإِنَّهُ مُنَاسِبٌ لِخِتَامِ سُورَةِ الْمَائِدَةِ مَنْ فَصْلِ الْقَضَاءِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الحمد لله رب العالمين﴾ [الزمر: ٧٥].

٢. وَكَافْتِتَاحِ سُورَةِ فَاطِرٍ بِـ﴿الْحَمْدُ﴾ أَيْضًا فَإِنَّهُ مُنَاسِبٌ لِخِتَامِ مَا قَبْلَهَا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ من قبل﴾ [سبأ: ٥٤]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾ [الأنعام: ٤٥].

٣. وَكَافْتِتَاحِ سُورَةِ الْحَدِيدِ بِالتَّسْبِيحِ، فَإِنَّهُ مُنَاسِبٌ لِخِتَامِ سورة الواقعة من الأمر به.

٤. وكافتتاح الْبَقَرَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فيه﴾ [البقرة: ١-٢]؛ إِشَارَةٌ إِلَى ﴿الصِّرَاطَ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦] كَأَنَّهُمْ لَمَّا سَأَلُوا الْهِدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ قِيلَ لَهُمْ: ذَلِكَ الصِّرَاطُ الَّذِي سَأَلْتُمُ الْهِدَايَةَ إِلَيْهِ هُوَ الْكِتَابُ، وَهَذَا مَعْنًى حَسَنٌ يَظْهَرُ فِيهِ ارْتِبَاطُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ بِالْفَاتِحَةِ"[٢٠].

٥. وكالمناسبة بين سورة النساء وآل عمران:

فآل عمران خُتمت بالأمر بالتقوى، وافتُتحت سورة النساء بذلك، وهذا من آكد المناسبات فى ترتيب السور[٢١].

---

٢٠- البرهان في علوم القرآن. للزركشي (١/٣٨)، الإتقان في علوم القرآن. للسيوطي (٣/ ٣٨١).

٢١- تفسير المراغي (٤/١٧٣).

٦. والمناسبة بين النساء، والمائدة: "قَالَ الْكَوَاشِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْمَائِدَة: "لَمَّا خَتَمَ سورةَ النساء آمِرًا بِالتَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ أَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]"[٢٢].

٧. وبين المائدة، والأنعام: ف"سُورَة الْأَنْعَام: ختمت السُّورَة السَّابِقَة بقوله تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]؛ فَنَاسَبَ أَن يُبيِّن سَبَب تِلْكَ الملكية ومنشأها، فَافْتتح هُنَا بجملة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، فسبب ملكية الله للسماوات وَالْأَرْض أَنه خالقهما وَمَا فيهمَا"[٢٣].

٨. و"تَأَمَّلِ ارْتِبَاطَ سُورَةِ ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ بِسُورَةِ الْفِيلِ، حَتَّى قَالَ الْأَخْفَشُ: اتِّصَالُهَا بِهَا مِنْ بَابِ قَوْلِهِ: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ "[٢٤]، يعني لام العاقبة.

٩. وفي آخر سورة الإسراء قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا...﴾ [الإسراء: ١١١]، وفي أول سورة الكهف التي تليها قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا...﴾ [الكهف: ١].

١٠. وفي آخر سورة الطور قال: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩]، وفي أول سورة النجم قال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: ١]"[٢٥].

١١. وفي نهاية الأحقاف: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وفي أول محمد: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ فكأنه تعريف بالفاسقين[٢٦].

---

٢٢- البرهان في علوم القرآن (١/ ١٨٦).

٢٣- مصابيح الدرر (ص:١٣٣).

٢٤- البرهان في علوم القرآن. للزركشي (١/٣٨).

٢٥- مصابيح الدرر: (ص:٥٥).

٢٦- مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم (ص: ٨٢).

١٢. وفي الفاتحة وأول البقرة: "لما قال العبد بتوفيق ربه: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قيل له: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ [البقرة: ٢] هو مطلوبك، وفيه أَرَبك وحاجتك، وهو الصراط المستقيم: ﴿هدى للمتقين﴾ القائلين: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ والخائفين من حال المغضوب عليهم والضالين"[٢٧].

١٣. وفي سورتي الفتح والحجرات: "لما أثنى الله على أصحاب رسوله في خاتمة سورة الفتح؛ جعل سورة الحجرات في تكميل إيمانهم وتأديبهم، فبدأ بالأدب مع الله، ثم مع رسوله، ثم مع المؤمنين، سواء من حضر منهم، ومن غاب ومن تلبّس بفِسق"[٢٨].

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة، وهو ظاهر، والمناسبة فيه واضحة.

## المطلب الثالث: المناسبة بين مطلع السورة وخاتمتها:

والمناسبة في هذا الباب ظاهرة في كثير من السور، وللسيوطي رحمه الله فيه كتاب سمّاه (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع)، ومن أمثلته:

١- "سورة النمل بُدأت بذكر الكتاب وأنه هدى، وخُتمت بذلك في قوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى﴾ [النمل: ٩٢].

القصص: في أولها: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]، وفي آخرها: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦]. وفي أولها: هجرة موسى من موطنه والعود إليه، وفي آخرها هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من بلده والعود إليه"[٢٩].

---

٢٧- كتاب ليدبروا آياته: (ص: ٣٢).

٢٨- المرجع السابق: (ص: ٢١١).

٢٩- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، للسيوطي (ص:٥٧) تحقيق د. عبد المحسن العسكر، دار المنهاج، الرياض، ١٤٢٦، ط١.

٢- قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: "وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ فَاتِحَةَ سُورَةِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] وَأَوْرَدَ فِي خَاتِمَتِهَا ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْفَاتِحَةِ وَالْخَاتِمَةِ!"(٣٠).

٣- "وَذَكَرَ الْكِرْمَانِيُّ فِي الْعَجَائِبِ مِثْلَهُ، وَقَالَ فِي سُورَةِ "ص": بَدَأَهَا بِالذِّكْرِ ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، وَخَتَمَهَا بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [ص: ٨٧].

٤- وَفِي سُورَةِ "ن" بَدَأَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢] وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١]"(٣١).

٥- سورة الحشر: مطلعها قوله سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١]، وفي آخرها ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]، والعلاقة ظاهرة.

٦- سورة الممتحنة: ومقصدها الولاء والبراء، مطلعها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ...﴾ [الممتحنة: ١]، وخاتمتها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣]، وكلاهما في النهي عن موالاة الكفار.

٧- سورة طه: في مطلعها: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ٢]، وفي نهاياتها: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]، وكلاهما في بيان سبيل السعادة ودفع الشقاء.

٨- سورة العنكبوت: في أوائلها: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت: ٦]، وفي آخرها: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وكلاهما حديث عن مجاهدة النفس؛ الأمر به، ثم أثره وفائدته.

---

٣٠- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٢٠٧).

٣١- الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٧٩ -٣٨٠).

٩- قوله تعالى في أول سـورة البقرة: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، ثم قال في آخر السورة: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...﴾ [البقرة: ٢٨٥] ففي أول السورة يذكر صفات المتقين التي يتميزون بها، وفي آخـر السورة يبين أن الرسول ﷺ والذين آمنوا معه قد امتثلوا تلك الصفات وتحلَّوا بها[٣٢].

٣٢- وانظر إلى مزيد من الأمثلة: كتاب الشيخ مصطفى مسلم (مباحث في التفسير الموضوعي)، (ص٧٤).

**المطلب الرابع: المناسبة بين مطلع السورة ومطلع السورة التي تليها:**

من المناسبات التي ذكرها العلماء وأفردوها بقسم خاص؛ المناسبات بين مطالع السور المتجاورات، وقد مثّلوا لذلك بما يلي:

- مطلع سورة البقرة مع سورة آل عمران، كلتاهما بدأت بـ(ألم) ثم ذُكر الكتاب: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٢، ٣]؛ في إشارة لعظيم أمر القرآن الكريم وتقديمه على غيره.

- "وَكَذَلِكَ مُنَاسَبَةُ فَاتِحَةِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ بِالتَّسْبِيحِ، وَسُورَةِ الْكَهْفِ بِالتَّحْمِيدِ، لِأَنَّ التَّسْبِيحَ حَيْثُ جَاءَ مُقَدَّمٌ عَلَى التَّحْمِيدِ؛ يقال: سبحان الله والحمد الله"[٣٣].

- ولما افتتحت سورة الأنبياء بقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]، وكان في معرض التهديد؛...اتصل بذلك ما يناسبه من الإعلام بهول الساعة وعظيم أمرها فقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢][٣٤].

وهو أقل الأنواع ذكرا، ولو ضُم إلى القسم الأول لكان أولى.

٣٣- البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٩/١).

٣٤- البرهان في ترتيب سور القرآن للغرناطي: (ص:٢٥٦)، تحقيق محمد الشعباني، طبع وزارة الأوقاف في المغرب ١٩٩٠م.

### المطلب الخامس: المناسبة بين سورتين أمر الشارعُ بجمعهما:

وهذا المطلب يتحدث عن المناسبة بين سورتين جاء النصُّ بالأمر بقراءتهما في صلاةٍ أو موضعٍ معين، ولا أعني بذلك السورَ المتتالية - مثل المعوذتين، والزهراوين، وسبح والغاشية - فهذه تقدّم الحديثُ عنها في المطلب الأول، ولكني أخص هنا الكلام حول السور التي نَدب الشارعُ لقراءتهما في موضعٍ وهما غير متتاليتين في المصحف، ولم أجد مَن نبّه عليه تأصيلا، وأما تطبيقًا فالكثير من العلماء يمثّلون له، ويذكرون أوجه المناسبة في ذلك.

وإليكم أمثلةً لبعض صور هذا النوع:

**- سورة الكافرون والإخلاص:**

أمر الشرعُ بقراءتهما في سنة الفجر[٣٥]، وسنة المغرب[٣٦]، وبعد الطواف[٣٧]، والوتر[٣٨].

يقول ابن القيم - رحمه الله - عن سورتي الكافرون والإخلاص: "وقد جمع ﷺ هذين النوعين من التوحيد في سورتي الإخلاص وهما: سورة (قل يا أيها الكافرون) المتضمن للتوحيد العملي الإرادي، وسورة (قل هو الله أحد) المتضمنة للتوحيد العلمي الخبري، فسورة (قل هو الله أحد) فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال، وبيان ما يجب تنزيهه من النقائص والأمثال، وسورة (قل يا أيها الكافرون) فيها إيجاب عبادته وحده لا شريك له، والتبري من عبادة كل ما سواه، ولا يتم أحد التوحيدين إلا

---

٣٥- أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي سنة الفجر والحث عليهما وتخفيفهما والمحافظة عليهما وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما، رقم (٧٢٦).

٣٦- أخرجه النسائي: كتاب الافتتاح، باب القراءة في الركعتين بعد المغرب، رقم (٩٩٢).

٣٧- أخرجه مسلم عن جابر: كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (١٢١٨).

٣٨- أخرجه أحمد في المسند عن عبد الله بن عباس: رقم (٢٧٢٠)، قال الترمذي في سننه (١/ ٥٨٥): "وفي الباب عن علي، وعائشة، وعبد الرحمن بن أبزى، عن أبي بن كعب".

بالآخر، وَلهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ بِهَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ فِي سُنَّةِ الْفَجْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْوِتْرِ اللَّتَيْنِ هُمَا فَاتِحَةُ الْعَمَلِ وَخَاتِمَتُه، لِيَكُونَ مَبْدَأُ النَّهَارِ تَوْحِيدًا وَخَاتِمَتُهُ تَوْحِيدًا"(٣٩).

**- ق والقمر:**

قال الإمام ابن كثير: "في حديث أبي واقد: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بقاف، واقتربت الساعة، في الأضحى والفطر(٤٠)، وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار، لاشتمالهما على ذكر الوعد والوعيد، وبدء الخلق وإعادته، والتوحيد، وإثبات النبوات، وغير ذلك من المقاصد العظيمة"(٤١).

**- السجدة والإنسان:**

عن أبي هريرة ﵁ قال: "كان النبي ﷺ يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة: (ألم تنزيل)، و(هل أتى على الإنسان)"(٤٢).

"وسئل - يعني شيخ الإسلام ابن تيمية - عمن قرأ سورة السجدة يوم الجمعة: هل المطلوب السجدة، فيجزئ بعض السورة والسجدة في غيرها؟ أم المطلوب السورة؟

فأجاب: الحمد لله، بل المقصود قراءة السورتين: (الم تنزيل)، و(هل أتى على الإنسان)، لما فيهما من ذِكر خلق آدم، وقيام الساعة وما يتبع ذلك، فإنه كان يوم الجمعة، وليس المقصود السجدة، فلو قصد الرجلُ قراءةَ سورة سجدةٍ أخرى كُره ذلك، والنبي ﷺ يقرأ السورتين كلتيهما، فالسنة قراءتهما بكمالهما..."(٤٣).

وقال ابن القيم – رحمه الله -: "وَسَمِعْت شَيْخَ الإِسْلامِ ابْنَ تَيْمِيّة يَقُولُ: إنّمَا كَانَ النّبِيّ ﷺ يَقْرَأُ هَاتَيْنِ السّورَتَيْنِ فِي فَجْرِ الْجُمُعَةِ لأَنّهُمَا تَضَمّنَتَا مَا كَانَ وَيَكُونُ فِي يَوْمِهَا، فَإِنّهُمَا

٣٩- اجتماع الجيوش الإسلامية لابن قيم الجوزية (٢/٩٤).

٤٠- أخرجه مسلم: كتاب صلاة العيدين، باب ما يقرأ به في صلاة العيدين، رقم (٨٩١).

٤١- تفسير ابن كثير (٧/٤٧٠)، تحقيق سامي سلامة.

٤٢- متفق عليه: البخاري: أبواب سجود القرآن، باب سجدة تنزيل السجدة، رقم (٨٩١)، مسلم: كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة، رقم (٨٨٠).

٤٣- مجموع الفتاوى (٢٤/٢٠٦).

اشْتَمَلَتَا عَلَى خَلْقِ آدَمَ، وَعَلَى ذِكْرِ الْمَعَادِ، وَحَشْرِ الْعِبَادِ، وَذَلِكَ يَكُونُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَكَانَ فِي قِرَاءَتِهِمَا فِي هَذَا الْيَوْمِ تَذْكِيرٌ لِلأُمَّةِ بِمَا كَانَ فِيهِ وَيَكُونُ، وَالسَّجْدَةُ جَاءَتْ تَبَعًا لَيْسَتْ مَقْصُودَةً حَتَّى يَقْصِدَ الْمُصَلِّي قِرَاءَتَهَا حَيْثُ اتَّفَقَتْ"(٤٤).

---

٤٤- زاد المعاد لابن القيم (١/٣٦٤).

## المبحث الثاني: المناسبات في الآيات

بعد ذكر المناسبات بين السور وفي السورة، ننتقل إلى المناسبات بين الآيات وفي الآيات، وكلام العلماء فيه أكثر، لاتفاقهم على أن ترتيب الآيات توقيفي، ولظهور المناسبة في غالب الأحوال، وتحت هذا المبحث خمسة مطالب:

المطلب الأول: المناسبة بين الآية والتي تليها.

المطلب الثاني: المناسبة بين الآية وخاتمتها.

المطلب الثالث: المناسبة بين الجُمَل المعطوفات.

المطلب الرابع: المناسبة في ترتيب المفردات المعطوفة.

المطلب الخامس: المناسبة بين القَسم والمُقسم به.

**المطلب الأول: المناسبة بين الآية والتي تليها:**

قال الطَّاهِر بن عاشور: "وَلما كَانَ يَقِين الْآيَات الَّتِي أَمر النَّبِي ﷺ بوضعها فِي أماكنها فِي مَوضِع معِين غير مروي إِلَّا فِي عدد قَلِيل، كَانَ حَقًا على الْمُفَسّر أَن يتطلب مناسباتٍ لمواقع الْآيَات، مَا وجد إِلَى ذَلِك سَبِيلا"[٤٥].

وهذا من أوضح أنواع المناسبات وأظهرها، ولكن مناسبة الآية بالتي تليها على نوعين:

الأول: الآيتان المرتبطتان بأي نوعٍ من أنواع الارتباط، فلا إشكال فيه، وهو متفق عليه، كالقصص والأحكام ونحوه.

والثاني: لا يظهر فيه الارتباط، وهو الذي يحتاج إلى بحث.

قال الزركشي - رحمه الله -: "ذِكْرُ الْآيَةِ بَعْدَ الْأُخْرَى إِمَّا أَنْ يَظْهَرَ الِارْتِبَاطُ بَيْنَهُمَا لِتَعَلُّقِ الْكَلَامِ بَعْضِه بِبَعْضٍ، وَعَدَمِ تَمَامِهِ بِالْأُولَى فَوَاضِحٌ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَتِ الثَّانِيَةُ لِلْأُولَى عَلَى جِهَةِ التَّأْكِيد وَالتَّفْسِيرِ أَوِ الِاعْتِرَاضِ وَالتَّشْدِيد، وَهَذَا الْقِسْمُ لَا كَلَامَ فِيه. وَإِمَّا أَلَّا يَظْهَرَ الِارْتِبَاطُ، بَلْ يظْهَرُ أَنَّ كُلَّ جُمْلَةٍ مُسْتَقِلَّةٌ عَنِ الْأُخْرَى، وَأَنَّهَا خِلَافُ النَّوْعِ الْمَبْدُوءِ بِهِ، فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مَعْطُوفَةً عَلَى مَا قَبْلَهَا بِحَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الْعَطْفِ المشترك فِي الحكم أو لا:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: أَنْ تَكُونَ مَعْطُوفَةً، وَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ بَيْنَهُمَا جِهَةٌ جَامِعَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ تَقْسِيمُهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وَفَائِدَةُ الْعَطْفِ: جعْلُهُمَا كَالنَّظِيرَيْنِ وَالشَّرِيكَيْنِ.

وَقَدْ تَكُونُ الْعَلَاقَةُ بَيْنَهُمَا الْمُضَادَّةَ، وَهَذَا كَمُنَاسَبَةِ ذِكْرِ الرَّحْمَةِ بَعْدَ ذِكْرِ الْعَذَابِ، وَالرَّغْبَةِ بَعْدَ الرَّهْبَةِ، وَعَادَةُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ إِذَا ذَكَرَ أَحْكَامًا ذَكَرَ بَعْدَهَا وَعْدًا وَوَعِيدًا، لِيَكُونَ ذَلِكَ بَاعِثًا عَلَى الْعَمَلِ بما سبق، ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه لِيُعْلَمَ عِظَمُ الْآمِرِ وَالنَّاهِي، وَتَأَمَّلْ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ وَالْمَائِدَةِ وَغَيْرِهَا تَجِدْهُ كَذَلِكَ.

---

[٤٥]- التحرير والتنوير: (١/٨٠).

القسم الثاني: وَقَدْ تَأْتِي الجملة معطوفة على ما قبلها، ويُشْكِل وَجْهُ الارْتِبَاطِ، فَتَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ، وَنَذْكُرُ مِنْ ذَلِكَ صُوَرًا يَلْتَحِقُ بِهَا مَا هُوَ فِي معناها:

فمنها قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظهورها...﴾ [البقرة:١٨٩] الْآيَةَ. فَقَدْ يُقَالُ: أَيُّ رَابِطٍ بَيْنَ أَحْكَامِ الأهلّة وبين حكم إِتْيَانِ الْبُيُوتِ؟ وَالْجَوَابُ مِنْ وُجُوهٍ..."[٤٦].

وهذه بعض الأمثلة لهذا النوع من المناسبات:

"١- في سورة النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا...﴾ [الآيات: ٥١-٥٧].

هذه الآيات نزلت في كعب بن الأشرف عندما ذهب إلى مكة - بعد انتصار المسلمين في بدر- يحرض المشركين على الأخذ بثأرهم، فسألوه: من أهدى سبيلًا: المؤمنون أم المشركون؟ فقال: بل أنتم، أنتم أهدى من المؤمنين سبيلًا! أخرج عبد الرزاق، وابن جرير عن عكرمة، أن كعب بن الأشرف انطلق إلى المشركين من كفار قريش فاستجاشهم على النبي صلى الله عليه وسلم، وأمرهم أن يغزوه وقال: إنا معكم نقاتله، فقالوا: إنكم أهل كتاب، وهو صاحب كتاب، ولا نأمن أن يكون هذا مكرًا منكم، فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين، وآمن بهما؛ ففعل! ثم قالوا: نحن أهدى أم محمد؟ فنحن نحر الكوماء، ونسقي اللبن على الماء، ونَصِل الرحم، ونَقري الضيف، ونطوف بهذا البيت، ومحمد قطَع رَحِمه، وخرج من بلده! قال: بل أنتم خير وأهدى، فنزلت فيه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ...﴾ الآية.

---

[٤٦]- البرهان: (١/ ٤٠).

وجاء بعد هذه الآيات قولُه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

وهذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري - صاحب سدانة الكعبة - لما أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة يوم الفتح ثم ردّه عليه.

وبين الآيتين ست سنوات، ومع ذلك فالمناسبة بين الآية الأولى والآية الأخيرة في غاية الوضوح، حيث ذكر المفسّرون: أن أحبار اليهود كانوا على اطلاع بما في كتبهم من وصف محمد ﷺ، وأُخذت عليهم المواثيق للإيمان به ونصرته: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، ثم خان هؤلاء الأحبارُ هذه الأمانة، ونقضوا الميثاق، ولم يؤدوا هذه المسئولية، فالسياق سياق تحمّل مسئولية وأمانة وأدائها على الوجه المطلوب المبرئ للذمة.

فالموضوع واحد، والسياق منسجم تمامًا، على الرغم من وجود الفاصل الزمني.

٢- المناسبة بين الآيات الكريمة في سورة البقرة:

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ...﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ [البقرة: ٢٥٦].

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾ [البقرة: ٢٥٧].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ...﴾ [البقرة: ٢٥٨].

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا...﴾ [البقرة: ٢٥٩].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى...﴾ [البقرة: ٢٦٠]

﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فمن الممكن أن يقال: إن آية الكرسي قد بينت صفات الجلال والكمال لله سبحانه وتعالى وحده، وإذا كان الأمر كذلك فالله الذي يزيد هذه الفطرة نورًا وضياءً، وإذا التبس بها شيءٌ أنقذها الله سبحانه وتعالى من تلك الظلمات إلى النور.

ومن الأمثلة على انحراف التفكير: نمروذ الذي زعم في نفسه الألوهية! علمًا أنه أدرى الناس بحقيقة عجزه! ثم تفسيره للإحياء والإماتة، ولكنه بُهت عندما أجابه بأن من شأن الإله التصرف المطلق في الكون.

ثم عقّب على ذلك بأن حقيقية الإماتة والإحياء ما حدث لعبد الله الصالح عزير وحماره، وما أجراه الله سبحانه وتعالى على يد خليله إبراهيم عليه السلام في إحياء الطيور الأربعة، ثم انتقل إلى إحياءٍ من لون آخر: وهو إحياء النفوس بالصدقة والإنفاق في سبيل الله، وموت النفوس وخنق الأجر وإماتته بالمَنّ والأذى(٤٧).

٣- ومثال آخر: قوله تعالى في سورة الزمر:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ، وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٥].

---

٤٧- جاء في التحرير والتنوير (٣/ ٢٥): وتعقيب آية الكرسي بهذه الآية بمناسبة أن ما اشتملت عليه الآية السابقة من دلائل الوحدانية وعظمة الخالق وتنزيهه عن شوائب ما كفرت به الأمم، من شأنه أن يسوق ذوي العقول إلى قبول هذا الدين الواضح العقيدة، المستقيم الشريعة، باختيارهم دون جبر ولا إكراه، ومن شأنه أن يجعل دوامهم على الشرك بمحل السؤال: أيتركون عليه أم يكرهون على الإسلام؟ فكانت الجملة استئنافا بيانيا.

فالمراد بالنور نور البرهان والحق، وبالظلمات ظلمات الشبهات والشك، فالله يزيد الذين اهتدوا هدى؛ لأن اتباعهم الإسلام تيسير لطرق اليقين، فهم يزدادون توغلا فيها يوما فيوما، وبعكسهم الذين اختاروا الكفر على الإسلام؛ فإن اختيارهم ذلك دل على ختم ضرب على عقولهم فلم يهتدوا، فهم يزدادون في الضلال يوما فيوما. ولأجل هذا الازدياد المتجدد في الأمرين وقع التعبير بالمضارع في- يخرجهم- ويخرجونهم- وبهذا يتضح وجه تعقيب هذه الآيات بآية ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم﴾ [البقرة: ٢٥٨] ثم بآية ﴿أو كالذي مر على قرية﴾ [البقرة: ٢٥٩] ثم بآية ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى﴾ فإن جميعها جاء لبيان وجوه انجلاء الشك والشبهات عن أولياء الله تعالى الذين صدق إيمانهم.

فالسورة مكية كلها إلا هذه الآيات، فقد نزلت في المدينة، وذكروا سببًا لنزولها:

أخرج الشيخان عن ابن عباس، أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قَتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا محمدًا صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحَسَن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ...﴾ [الفرقان: ٦٨] ونزل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ...﴾ [الزمر: ٥٣].

وفي رواية محمد بن إسحاق قال نافع: عن عبد الله بن عمر، عن عمر رضي الله عنهما في حديثه قال: كنا نقول: ما الله بقابلٍ ممن افتتن صَرفًا ولا عدلًا ولا توبة، عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم، قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم، قال: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ أنزل الله تعالى فيهم - في قولنا وقولهم -: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾، قال عمر رضي الله عنه: فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى هشام بن العاص رضي الله عنه، فقال هشام: لما أتتني جعلتُ أقرؤها بذي طوى، أصعّد بها فيه وأصوّب ولا أفهمها! حتى قلت: اللهم أفهمنيها، قال: فألقى اللهُ عز وجل في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا، ويقال فينا، فرجعتُ إلى بعيري فجلست عليه، فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة[٤٨].

فالآيات مدنية كما تفيد روايات أسباب النزول، إلا أن وضعها في السورة المكية منسجم تمام الانسجام مع ما قبلها وما بعدها، واقرأ الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ *

---

٤٨- تفسير ابن كثير. ت سلامة (٧/ ١٠٩).

وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٢-٥٦].

فنجد أن الآيات متلاحمة تمام التلاحم، فلما كان بسط الرزق والتضييق فيه مظنة الإسراف على النفس، فمع البسط الترف، وارتكاب المحرمات والموبقات، وصرفه على الشهوات... فاقتضت الحكمة الإلهية عدم التيئيس من رحمة الله تعالى، وفتح باب التوبة لهم"[٤٩].

- "تأمل كيف ربط بين السبب والمسبب في قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣، ٤]، وهذا ظاهر في أول آية في المصحف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١] والمعنى: أنه سبحانه مستحق للحمد، لأنه رب العالمين وخالقهم ورازقهم، وقرر هذا في أول نداء في المصحف: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] ثم بيّن السبب بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾"[٥٠].

---

٤٩- مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم، (ص: ٧١) دار القلم، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥هـ.

٥٠- كتاب ليدبروا آياته، (ص: ٢٨٤).

**المطلب الثاني: المناسبة بين الآية وخاتمتها:**

وهذا النوع متفق عليه، وينبّه عليه المفسرون كثيرا، وقد تنبّه له الأعراب الذين لم تخالط فصاحتَهم عجمةٌ، كما روى الأصمعي: قرأت هذه الآية ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨] وإلى جنبي أعرابيٌّ، فقلت: والله غفور رحيم! سهواً، فقال الأعرابي: كلام مَن هذا؟ قلت: كلام الله. قال: أَعِد، فأعدتُ: والله غفور رحيم! فقال: ليس هذا كلام الله! فتنبهتُ، فقلت: وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، فقال: أصبتَ، هذا كلام الله، فقلت له: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، قلت: فمن أين علمت أني أخطأت؟ فقال: يا هذا! عزَّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع[51].

وفي قوله ﷻ: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٠٩]؛ "رُوِيَ أَنَّ قَارِئًا قَرَأَ: غَفُورٌ رَحِيمٌ- أي بدل ﴿عزيز حكيم﴾-، فَسَمِعَهُ أَعْرَابِيٌّ فَأَنْكَرَهُ! ولَمْ يَكُنْ يقرأُ القُرْآنَ، وَقَالَ: إِنْ كَانَ هَذَا كَلَامَ اللَّهِ فَلَا يَقُولُ كَذَا الْحَكِيمُ، لَا يَذْكُرُ الْغُفْرَانَ عِنْدَ الزَّلَلِ، لِأَنَّهُ إِغْرَاءٌ عَلَيْهِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ كَعْبٍ نَحْوُ هَذَا، وَأَنَّ الَّذِي كَانَ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ أَقْرَأَهُ: فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، فَأَنْكَرَهُ حَتَّى سَمِعَ: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فَقَالَ: هَكَذَا يَنْبَغِي!"[52].

ومن أمثلة ذلك:

ختم الآيات بأسماء الله الحسنى، فيها مناسبة ظاهرة، وارتباط واضح، وأثرٌ كبير في أتمام المعنى وتجليته:

١. كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، فانظر إلى وقع اسم

---

٥١- زاد المسير. لابن الجوزي (٥٤٦/١)، تحقيق عبد الرزاق مهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٢- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٥/ ٣٥٦). فخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي. ط٣ - ١٤٢٠هـ.

(الغفور الرحيم) على النفوس بعد دعوته للتوبة، فكيف لا يغفر وهو الغفور الرحيم سبحانه!

٢. وكقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]، فالواحد لا يكون معه ولد ثان، والقهار لايحتاج لولد يعينه - كما هو حال المخلوقين-، فأكد معنى الآية بختمها بهذين الاسمين الكريمين.

٣. وكقوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء:٣٤] ف"قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ تَهْدِيدٌ لِلرِّجَالِ إِذَا بَغَوْا عَلَى النِّسَاءِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، فَإِنَّ اللَّهَ الْعَلِيَّ الْكَبِيرَ وَلِيُّهُنَّ، وَهُوَ مُنْتَقِمٌ مِمَّنْ ظَلَمَهُنَّ وَبَغَى عَلَيْهِنَّ"(٥٣).

٤. وكقوله سبحانه: "﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨] ومناسبة ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين: ﴿الولي الحميد﴾ دون غيرهما، لمناسبتهما للإغاثة، لأن الولي يُحسِن إلى مواليه، والحميد يُعطي ما يُحمَد عليه"(٥٤).

وخاتمة الآيات في غير أسماء الله تعالى لها أثر كبير أيضا مثل:

٥. وكقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣] "لما كان الحج حشراً في الدنيا، والانصراف منه يشبه انصراف أهل الموقف بعد الحشر عن الدنيا - فريقاً إلى الجنة وفريقاً إلى السعير - ذكّرهم بذلك بقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فاعملوا لما يكون سبباً في انصرافكم منه إلى دار كرامته لا إلى دار إهانته"(٥٥).

---

٥٣- تفسير ابن كثير (٢/٢٩٦).

٥٤- ليدبروا آياته (ص:١٩٦).

٥٥- المرجع السابق (ص: ٢٨).

## المطلب الثالث: المناسبة بين الجمل المعطوفات

وهذا باب من المناسبات لطيف ومهم في التفسير، وفيه الإشارة إلى بيان مناسبة عطف الجُمَل بعضها على بعض في الآية، وفيه أسرارٌ وحِكَم عظيمة، فمن أمثلة ذلك:

- قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠] "قرن اللهُ النهي عن النظر إلى المحارم بذكر حفظ الفرج فقال: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ تنبيهًا على عِظم خطر النظر، فإنه يدعو إلى الإقدام على الفعل"(٥٦)، فهو من عطف المسبب على السبب.

- وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨] فإما أن يتبع العبدُ شريعةَ الله أو يتبع هواه.

- وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦]، "والمناسبة بين الجملتين هي: عطف السبب على المسبب، فاللغو يمنع كمالَ الاستماع والانتفاع بكلام الله"(٥٧).

- وقوله جل جلاله: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، كنت في زيارة لبعض علماء اليمن، فقال لي: هناك دعوة قوية في اليمن لفتح باب السياحة على مصراعيه، وإن لم يتم ذلك فشبح الفقر سيبقى قابعًا، ثم تلا هذه الآية ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾، فالشيطان يهدد بالفقر إن لم تفتح أبواب الفواحش في السياحة وغيرها، فأعجبني استنباطه!

- وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣١] فـ"لا يستهزئ بآيات الله إلا من نسي نِعَم الله عليه، فذِكر النِّعم يوجب تعظيمَ المنعِم"(٥٨).

---

٥٦- لطائف الإشارات للقشيري، (٢/٦٠٧)، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣.

٥٧- مبادئ تدبر القرآن، (ص: ٩٦)، دار الحضارة، الرياض، ط١، ١٤٣٧هـ.

٥٨- أسطر في النقل والعقل والفكر، للشيخ عبد العزيز الطريفي، (ص: ١٦)، والشيخ عبد العزيز من المكثرين في هذا النوع

- وقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧] فـ"الذنوب تؤخر النصر، والاستغفار يعجّل به"(٥٩).

- وقوله جل وعلا: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الكهف: ٢٨] فـ"ذكر الله والهوى ضدّان، كلما لهج اللسانُ بالذكر نَفَر الهوى من القلب"(٦٠).

- و"تأمل كيف قرن الله بين أكل الطيبات وعمل الصالحات في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] فأكل الحلال الطيب مما يعين العبدَ على فعل الصالحات، كما أن أكل الحرام أو الوقوع في المشتبهات؛ مما يُثقِل العبدَ عن فعل الصالحات"(٦١).

- وقال سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] فأكثر الناس شكرًا لنعم الله، أكثرهم ذكرًا لله، فالذكر بوابة الشكر(٦٢).

- وقال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]: فأكثر الناس صلاة أشدّهم ضبطًا لشهواته، ولا تغلب الشهواتُ إلا مَن أضاع الصلوات"(٦٣).

- ويقول سبحانه: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...﴾ [البقرة:١٩٥] "اتفق المفسرون أن المعنى: إن تركتم النفقة أُهلكتكم"(٦٤).

---

من المناسبات، فقد فتح له هذا الباب.

٥٩- المرجع السابق: (ص: ٥٧).

٦٠- المرجع السابق: (ص: ٦٨).

٦١- كتاب ليدبروا آياته، (ص: ١٢٩).

٦٢- أسطر في النقل والعقل والفكر، (ص: ٦٩).

٦٣- المرجع السابق (ص: ٨٣).

٦٤- المرجع السابق (ص: ١١٤). ذكر الطبري وابن أبي حاتم والبغوي وابن كثير في تفاسيرهم أقوالا في تفسير التهلكة! ولم أجد من نقل الإجماع، إلا أن ابن عطية عزا هذا القول لجمهور الناس، لكنه رغم هذا ذكر غيره من الأقوال.

**المطلب الرابع: المناسبة في ترتيب المفردات المعطوفة:**

في المطلب السابق الحديث عن الجُمَل المعطوفة، وأما هذا المبحث فالحديث فيه سيكون عن المفردات المعطوفة والمناسَبة بينها، ويُسمّيه بعضُ العلماء: (النظم القرآني)، ويقصدون به بيان أوجه المناسبة بين المعطوفات في الآيات، وسبب تقديم هذا وتأخير ذاك.

قال الرافعي: "وما يَشِذ في القرآن الكريم حرفٌ واحد عن قاعدة نظمه المعجِز؛ حتى إنك لو تدبرت الآيات التي لا تقرأ فيها إلا ما يسرده من الأسماء الجامدة، وهي بالطبع مظنة أن لا يكون فيها شيء من دلائل الإعجاز؛ فإنك ترى إعجازها أبلغ ما يكون في نظمها وجهات سردها، ومن تقديم اسمٍ على غيره أو تأخيره عنه، لنظم حروفه ومكانه من النطق في الجملة؛ أو لنكتة أخرى من نكت المعاني التي وردت فيها الآية، بحيث يوجِد شيئًا فيما ليس فيه شيء، تأمل قوله ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾ [الأعراف: ١٣٣] فإنها خمسة أسماء، أخفها في اللفظ: "الطوفان، والجراد، والدم"، وأثقلها: "القمل، والضفادع"؛ فقدّم "الطوفان" لمكان المَدَّين فيها؛ حتى يأنس اللسان بخفتها؛ ثم الجراد وفيها كذلك مد، ثم جاء باللفظين الشديدين مبتدئًا بأخفهما في اللسان، وأبعدهما في الصوت، لمكان تلك الغنة فيه، ثم جيء بلفظة "الدم" آخرًا، وهي أخف الخمسة وأقلها حروفًا؛ ليسرع اللسان فيها، ويستقيم لها ذوق النظم، ويتم بها هذا الإعجاز في التركيب، وأنت فمهما قلبتَ هذه الأسماء الخمسة؛ فإنك لا ترى لها فصاحة إلا في هذا الوضع، لو قدّمت أو أخّرت لبادرك التهافتُ والتعثّر، ولأعيتك أن تجيء منها بنظمٍ فصيح"(٦٥).

ومن أمثلة هذا الباب:

- قوله تعالى: ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ...﴾ [الأحزاب: ٧] وترتيب الأنبياء في الآية ترتيب زمني كما هو ظاهر.

---

٦٥- تاريخ آداب العرب، لمصطفى الرافعي، (١٥٥/٢)، دار الكتاب العربي.

- وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا...﴾ [التوبة: ٢٤] "وتأمل هذا الترتيب البديع في تقديم ما قُدِّم، وتأخير ما أُخِّر، يُطلعك على عظمة هذا الكلام وجلالته، فبدأ أولًا بذكر أصول العبد، وهم آباؤه المتقدمون طبعًا وشرفًا ورتبة، وكان نخر القوم بآبائهم ومحاماتهم عنهم أكثر من محاماتهم عن أنفسهم وأموالهم، وحتى عن أبنائهم، ولهذا حملتهم محاماتهم عن آبائهم ومناضلتهم عنهم إلى أن احتملوا القتل وسبي الذرية ولا يشهدون على آبائهم بالكفر والنقيصة ويرغبون عن دينهم! لما في ذلك من إزرائهم بهم، ثم ذكر الفروعَ وهم الأبناء؛ لأنهم يتلونهم في الرتبة، وهم أقرب أقاربهم إليهم، وأعلق بقلوبهم، وألصق بأكبادهم من الإخوان والعشيرة، ثم ذكر الإخوان وهم الكلالة وحواشي النسب، فذكر الأصول أولًا ثم الفروع ثانيًا ثم النظراء ثالثًا ثم الأزواج رابعًا، لأن الزوجة أجنبية عنده، ويمكن أن يتعوض عنها بغيرها..."(٦٦).

- وقوله ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ [آل عمران: ١٤]:

والظاهر أن الترتيب على حسب شهوات العمر؛ فالرجل إذا بلغ الحلم كانت شهوة النساء غالبة، ثم إذا تزوج اشتهى الولد، فإذا كثُر أولادُه اشتهى الأموال، فإذا تحصل المال اشتهى المركب الحسن (الخيل المسومة)، فإذا حصل ذلك وبلغ الكِبَر تمنى الأنعام، ثم الحرث (المزرعة) ليضع فيها نَعَمه.

- و"من أسرار الترتيب في القرآن في قوله ﷻ: ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥] فذكر أخص هذه الثلاثة وهو الطواف الذي لا يجوز إلا بالبيت، ثم ذكر الاعتكاف - وهو أعم من الطواف - لأنه لا يكون إلا في المساجد فقط، ثم ذكر الصلاة التي تعم سائرَ بقاع الأرض سوى ما استُثني شرعاً"(٦٧).

٦٦- بدائع الفوائد لابن القيم (١/٧٥).

٦٧- كتاب ليدبروا آياته، (ص: ٣٠).

- وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس:٣٤-٣٦] فقد "بدأ بالأخ، ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه، ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب، كأنه قال: يفرّ من أخيه، بل من أبويه، بل من صاحبته وبنيه"[٦٨].

- وقوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ [المعارج:١١-١٤] في مقام الفرار كان الترقي من الأدنى إلى الأعلى، ولكن في مقام الفداء كان الترقي من الأعلى إلى الأدنى، فهو مستعد أن يفتدي من العذاب بأقرب الناس له، فإن لم يُفدِ جاء بمن وراءه وهكذا[٦٩].

- وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]: قيل في سبب تقديم الظالم لنفسه على السابق بالخيرات – مع أن السابق أعلى مرتبة منه –: لئلا ييأس الظالم من رحمة الله، وأخّر السابق لئلا يُعجَب بعمله[٧٠].

وقيل: قدّم الظالم لكثرته – يعني في الأمة-، ثم المقتصد وهو أقل ممن قبله، ثم السابقين وهم أقل، قال الزمخشري: "فإن قلت: لم قدّم الظالم ثم المقتصد ثم السابق؟ قلت: للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقون أقل من القليل"[٧١].

---

٦٨- الكشاف للزمخشري، (٤/٧٠٥).

٦٩- انظر: لمسات بيانية، للدكتور فاضل السمرائي، (ص: ١٩٣).

٧٠- تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٨/ ١٠٧).

٧١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. للزمخشري (٣/ ٦١٣).

## المطلب الخامس: المناسبة بين المقسَم به والمقسَم عليه

من المناسبات اللطيفة في الآيات: المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه(٧٢)، فغالب الأمور التي أقسم اللهُ تعالى بها لها علاقة عجيبة بالمقسم عليه، وأركان القسم - كما هو معلوم في اللغة- أربعة: فعل القسم، وأداة القسم، والمقسم به، والمقسم عليه، نحو: أقسم بالله لأتصدقنّ، ف(أقسم) فعل القسم، ويُحذف كثيرا، لذلك لا يجعله بعضُهم من أركان القسم، و(الباء) أداة القسم، وأدوات القسم ثلاث: الباء والتاء والواو، ولفظ الجلالة(الله) مقسَم به، و(لأتصدقنّ) مقسَم عليه، ويُسمى جواب القسم، ومنه قوله تعالى: ﴿وأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ [المائدة: ٥٣]، والمخلوق لا يُقسِم إلا بالخالق، والخالق ﷻ يُقسِم بما شاء، لذلك فالمقصود بهذا الباب إقسام الخالق ﷻ.

وإليك بعض الأمثلة على المناسبة بين القسم وجوابه:

- قال تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا...إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ١-٦]:

أقسم بالخيل التي تفدي صاحبها بنفسها لقاء طعامها وشرابها، وأن الإنسان - مع ما أغدق الله عليه من النعم التي لا تُحصَى - لربه لكنود، أي بجود النعمة، "ومناسبة ذلك: تذكير الجاحد بأن الخيل لا يَنسى فضل مالكه عليه، فيورِد نفسَه المهالك لأجله، تقديرًا لنعمةِ المنعِم، فلا تكن البهيمةُ خيرًا وأوفى منك أيها الإنسان!"(٧٣).

- وقال سبحانه: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٢-٣]:

"المقسم به هو القرآن المبين، ومن بيانه: إنزاله بأفصح اللغات، قال الزمخشري: "وهو من الأيمان الحسنة البديعة؛ لتناسب القسم والمقسم عليه، وكونهما من واد واحد"(٧٤).

---

٧٢- انظر: بحث التناسب بين القسم المفرد وجوابه في القرآن الكريم، د ناصر الدوسري، نشر في مجلة الدارسات الإسلامية.

٧٣- ليدبروا آياته (ص: ٦٧٧)، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٦هـ.

٧٤- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٢٣٦).

- ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١ - ٣]:

يقول الشيخ السعدي: "ولا يخفى ما بين المقسم به - وهو القرآن الحكيم- وبين المقسم عليه، وهو رسالة الرسول محمد ﷺ من الاتصال، وأنه لو لم يكن لرسالته دليل ولا شاهد إلا هذا القرآن الحكيم لكفى به دليلا وشاهدًا على رسالة محمد ﷺ، بل القرآن العظيم أقوى الأدلة المتصلة المستمرة على رسالة الرسول، فأدلة القرآن كلها أدلة لرسالة محمد ﷺ"[٧٥].

- ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥، ٧٦]:

قال الإمام ابن القيم: "المناسبة بين ذكر النجوم في القسم وبين المقسم عليه وهو القرآن من وجوه:

أحدها: أن النجوم جعلها الله يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن يُهدى بها في ظلمات الجهل والغي، فتلك هداية في الظلمات الحسية، وآيات القرآن في الظلمات المعنوية، فجمع بين الهدايتين، مع ما في النجوم من الرجوم للشياطين، وفي آيات القرآن رجوم شياطين الإنس والجن..."[٧٦].

---

٧٥- تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي رحمه الله، (ص: ٦٣٨).

٧٦- التبيان في أقسام القرآن (ص: ٢٢٠).

## المبحث الثالث: المناسبات في المتشابهات

المطلب الأول: المناسبة بين المتشابهات لفظًا.

المطلب الثاني: المناسبة بين المتشابهات معنى.

المطلب الثالث: المناسبة بين المتشابهات وصفًا.

المطلب الرابع: المناسبة بين القراءات.

**المطلب الأول: المناسبة بين المتشابهات لفظًا:**

في كتاب الله ﷻ الكثير من الآيات التي تتشابه في لفظها ونظمها، واهتم العلماءُ بها كثيرًا، لمعرفة الحكمة في تكرارها والفرق بينها، وقد ألف تاج القراء أبو القاسم الكرماني (ت:٥٠٥) في ذلك كتاب (أسرار التكرار في القرآن، المسمى: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)[٧٧]، وألف الشيخ عبد المحسن العباد (آيات متشابهات الألفاظ في القرآن الكريم وكيف التمييز بينها)، والمؤلفات في هذا الباب كثيرة، وأرجع العلماء المتشابهات لفظًا في القرآن إلى ثلاثة أنواع:

١- تقديم وتأخير.

٢- زيادة ونقصان.

٣- إبدال كلمة بأخرى.

**فمن النوع الأول (التقديم والتأخير):**

- قوله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة:٤٨]، وقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة:١٢٣].

وسبب التقديم والتأخير: هو اختلاف عَود الضمير في قوله: (ولا يقبل)؛ ففي الآية الأولى يعود على النفس الأولى وهي الجازية، فهذه النفس تبدأ بالشفاعة، ثم عند عدم القبول تنتقل إلى الفداء، وأما الآية الثانية فالضمير يعود فيها على النفس الثانية وهي المجزي عنها، فهذه النفس تبدأ بالفداء، ثم عند عدم القبول تبحث عن شفيع[٧٨].

---

٧٧- تحقيق عبد القادر عطا، ونشر دار الفضيلة.

٧٨- انظر: تفسير الشعراوي، (٣١٨/١)، مطابع أخبار اليوم.

- وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا **لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا**...﴾ [البقرة:٢٦٤].

وقال ﷻ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ **لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ**...﴾ [إبراهيم: ١٨]،

قال ابن جُماعة: "وسر هذا التغاير: أن المثَل هنا للعامل، فكان تقديم نفي قدرته وصلتها أنسب، أما آية (إبراهيم) فالمثل للعامل، لقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ...﴾ تقديره: مثل أعمال الذين كفروا"[٧٩].

**ومن النوع الثاني (وهو الزيادة والنقصان):**

- قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا...﴾ [البقرة: ١٢٦] مع قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا...﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فزاد (ال) على (بلد)، والفرق بينهما: أن إبراهيم ﷺ سأل ربه ﷻ أن يجعل مكة بلدًا آمنًا، لأنها كانت واديًا غير ذي زرع لا يسكنها أحد، فلما سكنتها جُرهم وأصبحت بلدًا سأل ربَّه ﷻ أن تكون آمنة، ففي الآية الأولى تُعرب (بلدًا) مفعول به ثان، وفي الآية الثانية (آمنًا) مفعول به ثان[٨٠].

- "قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]، وقال في سورة المعارج: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥] فزاد في الآية الثانية كلمة (معلوم)؛ فلماذا؟ لعل السبب - والله أعلم - أنه في سورة المعارج: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ قال:

---

٧٩- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لابن جماعة، (ص: ١٢٠)، اعتنى به د. عبد الجواد خلف، دار الوفاء، مصر- المنصورة. ط١، ١٤١٠هـ.

٨٠- انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٩/ ١٠٠)، والكشاف للزمخشري (١/ ١٨٦).

(معلوم) لأن المقصود الزكاة المحددة، والحديث قبلها عن الفرائض والواجبات: (إلا المصلين) أما في سورة الذاريات: (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) فالآيات قبلها في بيان فضل المتطوعين زيادة على الواجب: ﴿كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٦، ١٧] فناسب الإطلاق في الإنفاق بلا تقييد، حيث المراد ما زاد على الواجب"[٨١].

**ومن النوع الثالث (وهو إبدال كلمة بأخرى):**

- قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ...﴾ [الإسراء: ٣١] والفرق بينهما: أن قوله: (من إملاق) أي الفقر، فيه أن الفقر متحقق، فخوف الأب على نفسه أكبر، ولذلك قدّمه في الاهتمام (نحن نرزقكم وإياهم...)، وأما الآية الثانية (خشية إملاق) فالأب غني ويخشى الفقر على ولده، فخوفه على الابن ولذلك قدّمه في الاهتمام (نحن نرزقهم وإياكم...)،

قال الإمام ابن كثير: "وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ إِمْلاقٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، والسُّدّي: هُوَ الْفَقْرُ، أَيْ: وَلَا تَقْتُلُوهُمْ مِنْ فَقْرِكُمُ الْحَاصِلِ، وَقَالَ فِي سُورَةِ "سُبْحَانَ": ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾ أَيْ: خَشْيَةَ حُصُولِ فَقْرٍ، فِي الْآجِلِ؛ وَلِهَذَا قَالَ هُنَاكَ: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ فَبَدَأَ بِرِزْقِهِمْ لِلِاهْتِمَامِ بِهِمْ، أَيْ: لَا تَخَافُوا مِنْ فَقْرِكُمْ بِسَبَبِهِمْ، فَرِزْقُهُمْ عَلَى اللَّهِ. وَأَمَّا فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَلَمَّا كَانَ الْفَقْرُ حَاصِلًا قَالَ: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾؛ لِأَنَّهُ الْأَهَمُّ هَاهُنَا"[٨٢].

- وفي قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء قال تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠] وفي الصافات قال سبحانه: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا

---

[٨١]- ملاك التأويل، للغرناطي، (ص: ١٠٣٦)، تحقيق عبد الغني الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت.

[٨٢]- تفسير ابن كثير (٣/٣٦٢) تحقيق سلامة.

﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩٨] وهي قصة واحدة، فما الحكمة فيه؟ والجواب: في سورة الأنبياء أخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه كاد أصنامهم ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، وأخبر أنهم أرادوا أن يكيدوه كذلك (فأرادوا به كيداً) فتقابل الكيدان، فلما عاد عليهم كيدُهم عبّر بالخسارة، وفي الصافات قال قبلها: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧] فلما رموا نبي الله من فوق البناء إلى أسفل؛ عاقبهم الله من جنس عملهم فجعلهم هم الأسفلين، وأصبح أمرُ نبي الله عالياً[٨٣].

والأمثلة تحت هذه الأنواع الثلاثة كثيرة، وهي تستحق أن تُفرد برسائل جامعية، ولولا خشية الإطالة لذكرتُ الكثير من الأمثلة التي لا ينقضي العجَبُ من أسرارها وجميل مناسباتها، ولطيف علاقتها.

٨٣- درة التنزيل، للإسكافي (ص: ٢٠٩).

**المطلب الثاني: المناسبات في الآيات المتشابهات معنى:**

التشابه في المعنى في القرآن هو الأصل، فالقرآن جاء لهداية الناس، وبيّن التوحيد والرسالات والبعث، وبيّن ماذا ينتظر الصالحين، وكيفية الوصول إليه، وما للمجرمين وكيف تجنّبه، والآيات يكّمل بعضُها بعضًا، ويوضّح بعضُها بعضًا، وهذا أمر ظاهر ولا إشكال فيه.

ولكني أقصد هنا نوعين خاصّين فقط، وهما:

١- الجمع بين آيتين متقاربتين في بعض المعاني، ثم استنباط معنى ثالث منهما.

٢- والمناسبة بين العمل والجزاء في القرآن.

**والنوع الأول:**

- افتتح بابَه الصحابيُّ الجليل الأسد الغالب علي بن أبي طالب ﷺ في القصة المشهورة، فيما رواه ابن أبي حاتم "عَنْ بَعْجَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجُهَنِيِّ قَالَ: تَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنَّا امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ، فَوَلَدَتْ لَهُ لِتَمَامِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَانْطَلَقَ زَوْجُهَا إِلَى عُثْمَانَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا قَامَتْ لِتَلْبَسَ ثِيَابَهَا بَكَتْ أُخْتُهَا، فَقَالَتْ: مَا يُبْكِيكِ؟! فَوَاللَّهِ مَا الْتَبَسَ بِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ غَيْرُهُ قَطُّ، فَيَقْضِي اللَّهُ فِيَّ مَا شَاءَ، فَلَمَّا أُتِيَ بِهَا عُثْمَانُ أَمَرَ بِرَجْمِهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا، فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: مَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: وَلَدَتْ تَمَامًا لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَهَلْ يَكُونُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: بَلَى! قَالَ: أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾ [الأحقاف: ١٥] وَقَالَ: ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]؟ فَلَمْ نَجِدْهُ بَقَّى إِلَّا سِتَّةَ أَشْهُرٍ، قَالَ: فَقَالَ عُثْمَانُ: وَاللَّهِ مَا فَطِنْتُ لِهَذَا، عَلَيَّ بِالْمَرْأَةِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ فُرِغَ مِنْهَا، قَالَ: فَقَالَ بَعْجَةُ: فَوَاللَّهِ مَا الْغُرَابُ بِالْغُرَابِ، وَلَا الْبَيْضَةُ بِالْبَيْضَةِ بِأَشْبَهَ مِنْهُ بِأَبِيهِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُوهُ قَالَ: ابْنِي، إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَشُكُّ فِيهِ) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ"[٨٤]. قال ابن كثير- كما في الموضع السابق-: وَهُوَ اسْتِنْبَاطٌ قَوِيٌّ

---

٨٤- تفسير ابن أبي حاتم – محققا (١٠/ ٣٢٩٣) برقم (١٨٥٦٦).

صَحِيحٌ[٨٥].

- وأخرج الترمذي عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ التَّيَمُّمِ، فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ فِي كِتَابِهِ حِينَ ذَكَرَ الوُضُوءَ: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]، وَقَالَ فِي التَّيَمُّمِ: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: ٤٣]، وَقَالَ :﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، فَكَانَتِ السُّنَّةُ فِي القَطْعِ الكَفَّيْنِ، إِنَّمَا هُوَ الوَجْهُ وَالكَفَّانِ» يَعْنِي التَّيَمُّمَ[٨٦].

فاستدل ابن عباس رضي الله عنهما من مجموع الآيات أن القرآن إذا ذكر اليد إنما يريد الكفين، فإن أراد أكثر من ذلك نص عليه، مثل: (وأيديكم إلى المرافق).

- و"قال أبو محمّد بن حزم: الصحابة كلّهم من أهل الجنة قطعًا، قال اللَّه تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقاتَلَ أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى﴾ [الحديد: ١٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]؛ فثبت أن الجميع من أهل الجنة، وأنه لا يدخل أحدٌ منهم النار، لأنهم المخاطبون بالآية السابقة"[٨٧]. وهو استنباط رائع من الإمام ابن حزم رحمه الله.

- و"انظر إلى قوله تعالى في سورة يوسف عن النسوة: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١]، وقول الملك ليوسف عليه السلام: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤] فيه: أن النساء يروقهن حسنُ المظهر، وأما الرجال فيروقهم جمالُ المنطق والمخبَر، وتلك من الطبيعة التي خلقها الله تعالى في النفوس"[٨٨].

- و"قال الضحاك ابن قيس: اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة؛ إن يونس عليه السلام كان عبداً صالحاً، وكان يذكر الله، فلما وقع في بطن الحوت سأل الله، فقال

---

٨٥- تفسير ابن كثير. ت سلامة (٧/ ٢٨٠).

٨٦- أخرجه الترمذي: كتاب أبواب الطهارة، باب ما جاء في التيمم، رقم (١٤٥).

٨٧- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (١/١٦٣)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٨- ليدبروا آياته، (ص: ٢٨٩) نقلا عن الشيخ الفاضل د محمد بن إبراهيم الحمد.

الله: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]، وإن فرعون كان عبداً طاغياً، ناسياً لذكر الله تعالى، فلما أدركه الغرق قال: ﴿آمنت﴾ فقال الله: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١]؛ فاجعل لك ذخائرَ خيرٍ من تقوى تجد تأثيرها"[٨٩].

– ودلّ القرآنُ على تفضيل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإن قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: ١٧، ١٨] نزل في أبي بكر بإجماع المفسرين، والأتقى: أفعل تفضيل، فإذا ضممتَ إلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]؛ تبين لك أن أبا بكر أفضل هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ.[٩٠]

– و"قال تعالى في سورة فاطر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال في سورة البينة: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧] إلى قوله: ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨] فاقتضت الآيتان: أن العلماء هم الذين يخشون الله تعالى، وأن الذين يخشون الله تعالى هم خير البرية؛ فتبين بهذا: أن العلماء هم خير البرية"[٩١].

– ولبعض الأفاضل: "الأولية تزيد الخير والشر، قال تعالى في الخير: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٥١]، وقال في الشر: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [البقرة: ٤١]. واستيعاب هذا المبدأ القرآني يثمر للإنسان معرفةَ فضلِ الروّاد في الخير، وخبث الروّاد في الشر"[٩٢].

ومن النوع الثاني (المناسبة بين العمل والجزاء في القرآن):

---

[٨٩]– زاد المسير لابن الجوزي (٤/٦٠).

[٩٠]– انظر: التفسير الكبير للرازي، (٣١/٢٠٤).

[٩١]– تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة، (ص: ٦).

[٩٢]– ليدبروا آياته، (ص: ٤٣٣) عن الشيخ إبراهيم السكران.

- قوله ﷻ عن قوم لوط: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤] هذا من المناسبة بوضوح، فإنهم لما انقلبوا عن الحقيقة والفطرة، ونزلوا إلى أسفل الأخلاق؛ جعل الله أعالي قريتهم سافلها[٩٣].

- ولما افتخر فرعون بقوله: ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الزخرف: ٥١] عُذِّب بما افتخر به! فأُغرق في البحر، وعادٌ عُذِّبت بألطف الأشياء - وهي الريح - لما تعالت بقوتها وقالت: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]![٩٤].

- وفي قول الحق سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] يقول الحسين بن الفضل: كما حجبهم في الدنيا عن توحيده؛ حجبهم في الآخرة عن رؤيته[٩٥].

- وفي قوله تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢] لما كان في الصبر - الذي هو حبس النفس عن الهوى - خشونة وتضييق؛ جازاهم على ذلك نعومةَ الحرير وسعة الجنة[٩٦].

- وقال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ [البروج: ٤، ٥]، فالذين أحرقوا المؤمنين في الأخدود سيحرقون، ولكن أين؟ في جهنم ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] أحرقوا المؤمنين في الدنيا؛ فأُحرقوا في الآخرة، وما أعظم الفرق بين حريق وحريق[٩٧].

وهذا النوع في القرآن كثير جدا.

---

٩٣- المرجع السابق، (ص: ٩٤) نقلا عن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

٩٤- المرجع السابق، (ص: ١٧١) نقلا عن الشيخ ابن عثيمين أيضًا.

٩٥- معالم التنزيل للبغوي، (٣٦٦/٨).

٩٦- روضة المحبين لابن القيم، (ص: ٤٨٠).

٩٧- ليدبروا آياته، (ص: ٦٥٤).

**المطلب الثالث: المناسبات بين المتشابهات وصفًا:**

من لطيف المناسبات التي ذكرها بعض العلماء: المناسبات في الأوصاف، حيث لاحَظَ العلماء أن بعض الآيات تشترك في استفتاحٍ أو ختامٍ أو صفةٍ معيَّنة، ووجدوا بينها مناسبة لطيفة، وهذه بعض الأمثلة التي توضح هذا النوع من المناسبات:

- قال ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]، ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]، ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَاللَّهُ تَعَالَى ذكر فِي الْقُرْآن: الهجر الْجَمِيل، والصفح الْجَمِيل، وَالصَّبْر الْجَمِيل، وَقد قيل: إِن الهجر الْجَمِيل هُوَ هجرٌ بِلَا أَذَى، والصفح الْجَمِيل صفحٌ بِلَا معاتبة، وَالصَّبْر الْجَمِيل صَبرٌ بِغَيْر شكوى إِلَى الْمَخْلُوق"[98].

ولم يذكر رحمه الله السراحَ الجميل ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨]، وهو الطلاق بلا انتقام وقطيعة.

- وجاء في القرآن وصف بعض الأمور بـ"الجاهلية" (ظن الجاهلية - حكم الجاهلية - تبرج الجاهلية - حمية الجاهلية).

ظن الجاهلية: تشير إلى الجانب العقدي.

وحكم الجاهلية: تشير إلى الجانب السياسي.

وتبرج الجاهلية: تشير إلى الجانب الأخلاقي.

وحمية الجاهلية: تشير إلى الجانب الاجتماعي.

وهي أبرز معالم الجاهلية، التي يجب على الأمة الحذر من التشبه بها[99].

- (قولا ثقيلا- يوما ثقيلا):

لم يصف الله ﷻ في كتابه شيئًا بالثقل إلا أمرين: الوحي، ويوم القيامة، فقال:

---

٩٨- العبودية لشيخ الاسلام ابن تيمية، (ص:٨٥) تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت.

٩٩- انظر بحث: الألفاظ التي اقترنت بمصطلح (الجاهلية) في القرآن الكريم ودلالة الاقتران، لناصر الماجد، في موقع ملتقى أهل التفسير.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:٥]، وقال: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الذاريات:٢٧]، والمناسبة في ذلك – والله أعلم-: أنه لا ينجو في اليوم الثقيل إلا من تمسك بالقول الثقيل.

- وافتُتحت سورتان بقوله: ﴿يا أيها الناس﴾، وهما: سورتا النساء، والحج، وجاء الأمر بالتقوى فيهما، ثم ذكر في الأولى بدء الخلق والحياة للإنسان: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً...﴾ [النساء: ١]، وفي سورة الحج ذكر نهاية هذه الحياة وبداية حياة أخرى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

- "ومن أمثلة ذلك أيضاً: قوله تعالى في سورتي إبراهيم والنحل: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا...﴾ [النحل: ١٨]، وقد ختمها في سورة إبراهيم ختماً مختلفاً عنه في سورة النحل، إذ أن السياق والنظم ليس واحداً، لأن الله قد وصف في سورة إبراهيم الإنسانَ وما فيه من ظلم وإنكار لفضل المنعم، ثم قال: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤]، أما في سورة النحل فقد وُصف الله وذُكرت صفاته وأُثبتت ألوهيته، ثم قال: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]"[١٠٠]، فالأولى خُتمت بتعامل العبد مع ربه، والثانية ختمت بتعامل الرب مع عبده.

فما أرحم الله ﷻ! وما أجحد العبد!

---

[١٠٠]- جمال النظم القرآني، للدكتور جمال الدين عبد العزيز شريف، مجلة الداعي الصادرة عن دار العلوم ديوبند، العدد٥-٦، السنة ٣٦، جمادى الثانية ١٤٣٣هـ.

**المطلب الرابع: المتشابهات في القراءات:**

القراءات فيها من الفوائد الغزيرة والكثيرة ما لا يُحصى، والكثير من هذه القراءات بينها مناسبات لطيفة، وقد ذكر العلماء الكثير من الأمثلة في هذا الباب، فمنها:

- قوله ﷻ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]:

"﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فيه قراءتان متواترتان، الأولى: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ، وهي قراءة عاصم ونافع، والقراءة الثانية: (وقِرْن في بيوتكن) بكسر القاف، وبعض أهل العلم يقولون: إن معنى القراءتين واحد، فهو من القَرار، وبعض أهل العلم يفرّق بينهما، وهذا التفريق ليس بين القولين فيه منافاة؛ ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من القرار، مِن قرَّ الماءُ في الحوض، أي استقر، فتكون مستقرة باقية، غير خرّاجة ولا ولاّجة، لأن المرأة التي تُكثر الخروج في أول نهارها وفي آخره؛ لا يقال إنها قارة في البيت. والقراءة الأخرى، (وقِرن في بيوتكن) فسرها جمع من الأئمة -أئمة التفسير- بمعنى الوقار، **والمعنيان متلازمان**؛ إذ إن وقار المرأة المسلمة يكمن في قرارها في بيتها، وذلك أن المرأة إذا كانت خراجة ولاجة فإن ذلك يكون على حساب وقارها ولا بد، وهذا أمر مشاهد، فإن المرأة الخراجة الولاجة يكون فيها من الجرأة ما لا يكون في غيرها عند النساء القارَّات في البيوت"[١٠١].

- قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]:

"قرئت بالتخفيف والتشديد (يطْهُرن) (يطّهَرن)؛ وهما قراءتان متواتران، وقراءة التشديد تدل على المبالغة في طهر النساء من المحيض؛ وذلك بالاغتسال، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وقراءة التخفيف تدل على أصل الطهارة، وهو انقطاع

---

[١٠١]- مقال (هكذا ربى القرآن أمهات المؤمنين) للشيخ العلامة د. خالد السبت (ص: ٣).

الدم، فمجموع القراءتين دل على أن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل على أصل الطهر بانقطاع الدم، وحتى تتطهر بالاغتسال"(١٠٢).

- قوله ﷻ: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]:

قرئت بفتح اللام في (أرجلكم) وكسرها، وكلاهما متواترتان، فالفتح عطفًا على المغسولات، والكسر عطفًا على الممسوحات، والقدَم إنما تُغسل لمن لم يلبس عليها خُفًّا، وتمسح إذا لبس الخف، فاستوعبت القراءات حال القَدَم"(١٠٣).

١٠٢- الأساس في القراءات، د. علي الجعفري (ص:٣٨٠) ط١، ١٤٣٦هـ، أروقة للدراسات والنشر، الأردن.

١٠٣- انظر: الأساس في القراءات، (ص:٣٨٠).

## الخاتمة

بعد أن طوّفنا في جمال القرآن ومناسباته، وحلّقنا في سماء لطائفه وارتباطاته؛ فأختم بأهم الفوائد والنتائج والتوصيات:

١- علم المناسبات من العلوم الشرعية الأصيلة التي تحتاج إلى الكثير من التحقيق والتحرير.

٢- علم المناسبات منضبط؛ فله أصول وقواعد وموازين، ينبغي الحرص على تطبيقها.

٣- المناسبات القرآنية ترجع إلى ثلاثة أصول: المناسبات بين السور، وبين الآيات، وفي المشتبهات.

٤- علم مقاصد السور من ثمار علم المناسبات.

٥- أكثر فوائد التدبر من علم المناسبات.

٦- البحث يُظهر أهمية اللغة وأثرها الكبير في تدبر القرآن الكريم.

٧- أوصي الباحثين بإفراد مباحث هذا الكتاب برسائل وأبحاث، لاسيما أنواع المناسبات.

وبهذا نكون قد وصلنا إلى نهاية المطاف، وخاتمة الكتاب، الذي أسأل الله ﷻ بمنّه وكرمه أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا للمسلمين، ونسأل الله ﷻ التيسير لإكمال هذه السلسلة المباركة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

## قائمة المصادر


١- القرآن الكريم.

٢- الإتقان في علوم القرآن. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٣- اجتماع الجيوش الإسلامية. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). تحقيق: عواد عبد الله المعتق. نشر: مطابع الفرزدق التجارية - الرياض. ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤- الأساس في القراءات، د. علي الجعفري، ط١، ١٤٣٦ه، أروقة للدراسات والنشر، الأردن.

٥- أسطر في النقل والعقل والفكر. للشيخ عبد العزيز الطريفي، جمع وترتيب: عزام محمد الحسيني نشر: مكتبة دار المنهاج، ط٤.

٦- الإصابة في تمييز الصحابة. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. نشر: دار الكتب العلمية - بيروت. ط١- ١٤١٥ هـ.

٧- الألفاظ التي اقترنت بمصطلح (الجاهلية) في القرآن الكريم ودلالة الاقتران. ناصر الماجد، في موقع ملتقى أهل التفسير.

٨- بدائع الفوائد. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٩- البرهان في ترتيب سور القرآن. للغرناطي، تحقيق محمد الشعباني، طبع وزارة الأوقاف في المغرب ١٩٩٠م.

١٠- البرهان في علوم القرآن. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر

الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ). المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م. الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

١١- تاريخ آداب العرب. مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ). نشر: دار الكتاب العربي.

١٢- التبيان في أقسام القرآن. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). المحقق: محمد حامد الفقي. نشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٣- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ). نشر: الدار التونسية للنشر – تونس. سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

١٤- تذكرة السامع والمتكلم. لمحمد بن إبراهيم ابن جماعة الكناني، المتوفى سنة ٧٣٣هـ، نشر: مكتبة المشكاة الإسلامية.

١٥- تفسير الثعلبي (الكشف والبيان). أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ). تحقيق ابن عاشور. دار أحياء التراث العربي. بيروت. ط١ ١٤٢٢هـ.

١٦- تفسير الشعراوي - الخواطر. محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ). نشر: مطابع أخبار اليوم.

١٧- تفسير القرآن العظيم لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ). المحقق: أسعد محمد الطيب. الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية. ط٢- ١٤١٩هـ.

١٨- تفسير القرآن العظيم. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). المحقق: سامي بن محمد سلامة. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع. ط٢. ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٩- تفسير المراغي. لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ). نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر. ط١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
٢٠- التناسب بين القسم المفرد وجوابه في القرآن الكريم، د. ناصر الدوسري، بحث نشر في مجلة الدارسات الإسلامية.
٢١- تناسق الدرر في تناسب السور. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: عبد القادر أحمد عطا، نشر: دار الكتب العلمية، ط١.
٢٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. نشر: مؤسسة الرسالة. ط١. ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
٢٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي). الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٤- جمال النظم القرآني. للدكتور جمال الدين عبد العزيز شريف، مجلة الداعي الصادرة عن دار العلوم ديوبند، العدد: ٥-٦، السنة: ٣٦، جمادى الثانية ١٤٣٣هـ.
٢٥- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ). تحقيق أحمد الخراط، دار القلم، دمشق.
٢٦- درة التنزيل وغرة التأويل. أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى: ٤٢٠هـ). دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد مصطفى آيدين. نشر: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل

العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة. ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٧- روضة المحبين ونزهة المشتاقين. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط: ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٨- زاد المسير في علم التفسير. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ). المحقق: عبد الرزاق المهدي. نشر: دار الكتاب العربي – بيروت. ط١. ١٤٢٢هـ.

٢٩- زاد المعاد في هدي خير العباد. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت. ط٢٧، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

٣٠- سنن الترمذي. محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ). تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ٤، ٥). نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر. ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٣١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. نشر: دار العلم للملايين - بيروت. ط٤. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٢- العبودية. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). المحقق: محمد زهير الشاويش

٣٣- علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه، لنور الدين عتر. دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط١، ١٤٣٢هـ.

٣٤- علم المناسبات في السور والآيات، د. محمد بن عمر بازمول، المكتبة المكية، ط١، ١٤٢٣ – ٢٠٠٢م.

٣٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ). نشر: دار الكتاب العربي - بيروت. ط٣. ١٤٠٧هـ.
٣٦- كشف المعاني في المتشابه من المثاني. أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: ٧٣٣هـ). اعتنى به د. عبد الجواد خلف، دار الوفاء، مصر، المنصورة، ط١، ١٤١٠هـ.
٣٧- لطائف الإشارات = تفسير القشيري. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ). المحقق: إبراهيم البسيوني. نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر. ط٣.
٣٨- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل. فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي. نشر: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان - الأردن. ط٣. ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٣٩- ليدبروا آياته. دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٦هـ.
٤٠- مباحث في التفسير الموضوعي. مصطفى مسلم. نشر: دار القلم. ط٤. ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٤١- مبادئ تدبر القرآن. د. عبد المحسن بن زبن المطيري. دار الحضارة، الرياض، ط١. ١٤٣٧هـ.
٤٢- المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ). تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. نشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب. ط٢. ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
٤٣- مجموع الفتاوى. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ). المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية. عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤٤- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). تحقيق د. عبد المحسن العسكر، دار المنهاج، الرياض، ١٤٢٦، ط١.
٤٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ). المحقق: أحمد محمد شاكر. نشر: دار الحديث – القاهرة. ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٤٦- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٤٧- مصابيح الدرر في تناسب الآيات والسور. عادل أبو العلاء. بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١٢٩، عام ١٤٢٥هـ.
٤٨- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي. محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ). المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش. نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع. ٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٤٩- معجم المفصل في علوم البلاغة جمع وترتيب د. إنعام عكاوي، ضمن سلسلة الخزانة اللغوية، ط: دار الكتب العلمية.
٥٠- معجم مقاييس اللغة. المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ). المحقق: عبد السلام محمد هارون. نشر: دار الفكر. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٥١- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير. فخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي. ط٣ - ١٤٢٠هـ.
٥٢- مقال (هكذا ربى القرآن أمهات المؤمنين). للشيخ العلامة د. خالد السبت.

٥٣- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل. أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ). وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٥٤- الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ٠٧ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٥٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي ابن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ). مكتبة ابن تيمية – ط٣، ٢٠٠٦م.

# الفهرس